ان بغداد في الجانب الغربي على الدجلة انفق عليها المنصور اموالا
عظيمة ونقل ابواب واسط وركبها عليها وجعلها مدينة مدورة
وجعل دورها اثني عشر الف قصبة وبنى بها قصرا عظيما بوسطها
وبنى المهدي قصرا مقابلها في الجهة الاخرى وبينهما نهر الدجلة
به جسر من السفن ويقال ان حماماتها حررت في وقت من
الاوقات فكانت ستين الف حمام قال الطبري في تاريخه كان كل حمام
بها ستون الف حمام يحتاج على الاقل الى ست نفر ومثل ليلة
العيد يحتاج كل نفر الى رطل صابون له ولاولاده وعياله فيحتاج
لثلثمائة الف وستون الف رطل صابون ومن المشاع ان
بغداد كانت مشحونة بالعلما والفضلا وارباب الصنايع
النفيسة والان غالبها خراب وقد تغيرت اوضاعها وخلت
من العلما والافاضل بقاعها وقد اخبرني من اثق به من افاضل
الرجال انه توجه اليها ومكث بها مدة فلم يجد بها من يحرر
المسائل الفقهية بل ولا غيرها من غالب العلوم والله يفعل ما يشا
وذكر انه لما نبت بغداد بالقاضي عبد الوهاب المالكي خرج
منها طالبا مصر فشيعه من اكابرها وفضلائها جماعة موفورة
فقال لهم لما ودعهم لو وجدت بين ظهرانيكم كل غداة وعشية
رغيفين ما فارقت بغداد فلم يكن فيهم من يتكفل له بذلك ثم شعر

⁂ بغداد دار لاهل المال طيبة ⁂ وللمفاليس دار الضنك والضيق ⁂
⁂ امشي فيها مضاعا بين ساكنها ⁂ كانني مصحف في بيت زنديق ⁂

ذكر القاضي البيضاوي في تفسيره في سورة الفرقان عند قوله

تعالى

تعالى يا رب ان قومي اتخذوا هذا القران مهجورا اي بان تركوه
وصدوا عنه وعنه عليه الصلاة والسلام من تعلم القران وعلق
مصحفه ولم يتعاهده ولم ينظر فيه جاء يوم القيمة متعلقا به
يقول يا رب هذا اتخذني مهجورا شعر في المعنى

⁂ يا واقفا بين الفراة ودجلة ⁂ عطشان يطلب شربة من ماء ⁂
⁂ ان البلاد كثيرة انهارها ⁂ وسحابها فغزيرة الانواء ⁂
⁂ ما اجدبت الدنيا ولا عدم الندى ⁂ فيها ولا ضاقت على العلما ⁂
⁂ ارض بارض والذي خلق الورى ⁂ قد قسم الارزاق في الاحياء ⁂

⁂ وقال ايضا ⁂

⁂ مالي لا ارغب عن منزل ⁂ يكثر فيه الدهر حسادي ⁂
⁂ ما الرزق في الكرخ مقيم ولا ⁂ طوق العلا في جيد بغداد ⁂

اقول اي اهل بغداد وشحهم وجبنهم وقلة مروتهم بخلاف
من اهل مصر فانه ذكر ان القاضي عبد الوهاب لما قدم الى مصر تلقته
اكابرها وفضلائها بالبشر والكرامة والترحيب وانزلوه في احسن
البيوت واهدوا اليه الهدايا الوافرة والارزاق المتكاثرة
وصار عندهم عزيزا جزاهم الله تعالى خيرا عن مروتهم وقد شاهدنا
ذلك في كثير ممن ورد عليهم من العلماء ومما يحكى ان خالدا ابا يحيى
البرمكي كان يكثر التردد على المنصور وكان المنصور يجله ويدنيه
مجلسه ويصغي لمصاحبته فدخل في بعض الايام وفي يده خاتم به فص
من السموم القتالة واراد ان يجلس على عادته فرا دونه زارة عظيمة
من عجبة ومنعه من الجلوس فقال له ما السبب يا امير المومنين فقال لا تدخل

Copyright © King Saud University